

التحرير والتنوير

وهي مكية بالاتفاق وعن الحسن استثناء قوله تعالى (وسبح بحمد ربك بالشبي والإبكار) لأنه كان يرى أنها نزلت في فرض الصلوات الخمس وأوقاتها . ويرى أن فرض صلوات خمس وأوقاتها ما وقع إلا في المدينة وإنما كان المفروض بمكة ركعتين كل يوم من غير توقيت وهو من بناء ضعيف على ضعيف فأن الجمهور على أن الصلوات الخمس فرضت بمكة في أوقاتها على أنه لا يتعين أن يكون المراد بالتسبيح في تلك الآية الصلوات بل يحمل على ظاهر لفظه من كل قول ينزه به □ تعالى .

وأشد منه ما روي عن أبي العالية أن قوله تعالى (إن الذين يجادلون في آيات □ بغير سلطان أتاهم أن في صدورهم إلا كبر ما هم بباليغ) نزلت في يهود من المدينة جادلوا النبي A في أمر الدجال وزعموا أنه منهم . وقد جاء في أول السورة (ما يجادل في آيات □ إلا الذين كفرو) . والمراد بهم : المشركون .

وهذه السورة جعلت الستين في عداد ترتيب نزول السور نزلت بعد سورة الزمر وقبل سورة فصلت وهي أول سور آل حم نزولا .

وقد كانت هذه السورة مقروءة عقب وفاة أبي طالب أي سنة ثلاث قبل الهجرة لما سيأتي أن أبا بكر قرأ آية (أقتتلون رجلا أن يقول ربي □) حين آذى نفر من قريش رسول □ A حول الكعبة وإنما اشتد أذى قريش رسول □ A بعد وفاة أبي طالب .

والسور المفتحة بكلمة (حم) سبع سور مرتبة في المصاحف على ترتيبها في النزول ويدعى مجموعها " آل حم " جعلوا لها اسم " آل " لتأخيها في فواتحها . فكأنها أسرة واحدة وكلمة " آل " تضاف إلى ذي شرف " ويقال لغير المقصود تشريفه أهل فلان " قال الكمي : .

قرأنا لكم في آل حاميم آية ... تأولها منا فقيه ومعرب يريد قول □ تعالى في سورة (حم عسق) (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) على تأويل غير ابن عباس فلذلك عززه بقوله : تأولها منا فقيه ومعرب .

وربما جمعت السور المفتحة بكلمة (حم) فقل ألحوا ميم جمع تكسير على زنة فعاليل لأن مفردة على وزن فاعيل وزنا عرض له من تركيب اسمي الحرفين : حا ميم فصار كالأوزان العجمية مثل " قابيل " و " راحيل " وما هو بعجمي لأنه وزن عارض لا يعتد به . وجمع التكسير على فعاليل يطرد في مثله .

وقد ثبت أنهم جمعوا (حم) على حواميم في أخبار كثيرة عن ابن مسعود وابن عباس وسمرة بن جندب ونسب في بعض الأخبار إلى النبي A ولم يثبت بسند صحيح . ومثله السور المفتحة

بكلمة " طس " أو " طسم " جمعوها على طواسين بالنون تغليبا . وأنشد أبو عبيدة أبياتا لم
يسم قائلها : .

حلفت بالسبع الألى قد طولت ... وبمئين بعدها قد أمئت .

وبثمان ثنيت وكررت ... وبالطواسين اللواتي ثلثت .

وبالحواميم اللواتي سبعت ... وبالمفصل التي قد فصلت وعن أبي عبيدة والفراء أن قول

العامه الحواميم ليس من كلام العرب وتبعهما أبو منصور الجواليقي .

وقد عدت آيها أربعا وثمانين في عد أهل المدينة وأهل مكة وخمسا وثمانين في عد أهل

الشام والكوفة واثننتين وثمانين في عد أهل البصرة .

أغراض هذه السورة .

تضمنت هذه السورة أغراضا من أصول الدعوة إلى الإيمان فابتدئت بما يقتضي تحدي المعاندين

في صدق القرآن كما اقتضاه الحرفان المقطعان في فاتحتها كما تقدم في أول سورة البقرة .

وأجري على اسم الله تعالى من صفاته ما فيه تعريض بدعوتهم إلى الإقلاع عما هم فيه فكانت

فاتحة السور مثل ديباجة الخطبة مشيرة إلى الغرض من تنزيل هذه السورة .

الاعتراف من الكافرون إلا يجدها لا بينة الله من الكتاب هذا تنزيل دلائل بأن ذلك وعقب A E

بها حسدا وأن جدالهم تشغيب وقد تكرر ذكر المجادلين في آيات الله خمس مرات في هذه السورة

وتمثيل حالهم بحال الأمم التي كذبت رسل الله بذكرهم إجمالا ثم التنبيه على آثار استئصالهم

وضرب المثل بقوم فرعون .

وموعظة مؤمن آل فرعون قومه بمواعظ تشبه دعوة محمد A قومه .

والتنبيه على دلائل تفرد الله تعالى بالإلهية إجمالا .

وإبطال عبادة ما يعبدون من دون الله .

والتذكير بنعم الله على الناس ليشكره الذين أعرضوا عن شكره .

والاستدلال على إمكان البعث